جامعة تكريت – كلية التربية للعلوم الإنسانية– قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية – البكالوريوس– المرحلة الرابعة

اسم المادة : الاعجاز

عنوان المحاضرة

القصص القرآني–الإخبار عن العهود الغابرة–.

أ.د عثمان فوزي علي

القصص القرآني–الإخبار عن العهود الغابرة–.

معنى القصة في اللغة والقرآن الكريم

معني القصة في اللغة :

أصل القصة في اللغة: المتابعة، وذلك أن القاص يتبع الخبر بعضه بعضاً، قال تعالى "(وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ)( ). أي تتبعي أثره. وقال تعالى "(فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً) أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر.

والقصّ : البيان. قال تعالى : "(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) أي نبين لك أحسن البيان. ومنه قوله تعالى :" (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) وقوله تعالى : "(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ)

والاسم منه القصّ. والقاص من يأتي بالقصة على وجهها. لأنه يتتبع معانيها وألفاظها. أو هو قاص لأنه يقص القصص تباعاً خبرا بعد خبر.

وجمع القاص : قصاص بضم أوله. وقصّ الشئ : قطع من باب رد واقتصصت الحديث رويته علي وجهه. والقصة: بالكسر الأمر والحديث والخبر. كالقصص بالفتح، وتجمع على قصص بالكسر كعنب. وجمع الجمع أقاصيص. والقصص بالفتح بمعني الخبر المقصوص وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه

ومما تقدم يتبين لنا : أن القصص معناه المتابعة كما أكد هذا المعنى القرآن الكريم. كما أن هذه المتابعة لا تكون إلا عن طريق البيان وسرد الأحداث بصدق وروايتها على وجهها. ويؤيد ذلك أن القصص بمعنى القطع. فأنت حينما تقص الحديث تقطع بصحته. دون زيادة أو نقصان. كما أنه يمكن أن نستدل بهذا المعنى اللغوي على أن القصة لا تكون قصة في أصل وضعها إلا إذا قطع بصحتها. فليس فيها مجال للكذب والخيال.

وبهذا ترى أن القصة في أصل اللغة العربية حقيقة واقعة. لأن القاص تتبع الأثر، وأتى به مستوعباً كل وجوه الصحة والصدق فيه.

معنى القصة في القرآن الكريم :

على هذا المعنى اللغوي جاء معنى القصة في القرآن الكريم، قال تعالى "(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ) أي الخبر الصادق. وقال تعالى :(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ)..(نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ)

فالقصص القرآني في اصطلاح العلماء بالقرآن الكريم هو : "إخبار الله عما حدث للأمم السابقة مع رسلهم، وما حدث بينهم وبين بعضهم، أو بينهم وبين غيرهم أفراداً وجماعات ، من كائنات بشرية أو غير بشرية ، بحق وصدق، للهداية والعظة والعبرة"

وذلك كقصص آدم ونوح وإبراهيم وموسي وعيسي وداود وسليمان ولقمان وذي القرنين إلى غير ذلك من القصص المذكور في القرآن الكريم.

أما حكاية القرآن عمّا حدث لسيدنا محمد صلي الله عليه وسلم مع قومه فلا يعد من قصص القرآن وذلك كغزواته وزواجه وما حدث بينه عليه الصلاة والسلام وبين أصحابه. يؤيد ذلك ويدل عليه قوله تعالى: (كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء مَا قَدْ سَبَقَ

وبهذا تري أن القرآن الكريم أطلق لفظ القصص على ما حدث به من أخبار الأمم السابقة والقرون الأولى في مجالات الرسالات السماوية وما كان يقع في محيطها من صراع بين الخير والشر والحق والباطل.

فالقصة في استعمالات العرب وفي مفهوم القرآن الكريم تختلف عن القصة بالمعنى الأدبي الحديث. وتلك حقيقة لا يماري فيها إلا مكابر، "وإذا كان الأدباء اليوم ينتزعون من الخيال أقوالا ويقولون أنها قصة فذلك أمر لا يعرفه العرب، ولا يجري على ألسنتهم، وصح لنا أن نطلق عليها أساطير مادامت لم تقع

ذلك أن القصة الأدبية في القديم وفي الحديث لم تقف عند الحقيقة التاريخية وحدها بل كانت تعتمد على كثير أو قليل من عنصر الخيال الذي من شأنه أن يلون الأحداث بألوان غير ألوانها وأن يبدل ويغير في صورها وأشكالها، وذلك لكي تبدو الأحداث مختلفة في وجوهها عما ألف الناس أن يروها عليه

ولعل من الضروري أن أفرق بين القصة بهذا المعنى – أعني في القرآن الكريم – وبين الأسطورة. "فالأساطير الأباطيل والأكاذيب والأحاديث لا نظام لها جمع إسطار وإسطير بكسرهما، وأسطور بالضم وبالهاء في الكل... وسطر تسطيرا ألف الأكاذيب، قال الليث : يقال سطر فلان علينا يسطر إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل، يقال هو يسطر ما لا أصل له أي يؤلف

وبهذا تري أن الأسطورة لا تطلق إلا علي الأكذوبة من الكلام، وعلى القول الذي لا يعقل كتأليف الأباطيل والخرافات.

أما القصة القرآنية فقد بنيت بناء محكماً من لبنات الحقيقة المطلقة التي لا يطوف بحماها طائف من خيال ولا يطرقها طارق منه

وموضوع القصة في القرآن، يشترك مع موضوعات القرآن الأخرى، في القصد إلى تحقيق الغرض الكلي الذي تنزل القرآن من أجله فللقصة في القرآن إذاً غرض أساسي، هو تحقيق المعنى الكلي الذي جاء به القرآن إلى الناس. والغرض من القصة القرآنية ثلاثة أمور:

١- إثبات الوحي الإلهي والرسالة النبوية لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلما جاء القرآن بقصص الأنبياء السابقين والأمم الغابرة، على نحو يتفق جملة وتفصيلاً مع ما أثبته التوراة والإنجيل من عرض تلك الأخبار والقصص، كان ذلك دليلاً لا يقبل الشك بأن هذا القرآن ما كان حديثاً يفترى، ولكن وحي من الله عز وجل.

ولتنبيه الناس إلى هذه الدلالة، يعّقب الله (عز وجل) على كل قصة ينتهي من عرضها بما يثير الانتباه إلى أن هذه المعلومات لا يمكن أن تكون قد أتت إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) إلّا من نافذة الوحي المجرد.

فهو يقول بعد عرض قصة يوسف (عليه السلام) بتفصيلها الواسع المعروف: (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ العبرة والموعظة وتأتي في أحد مظهرين:

أ- بيان مدى قدرة الله تعالى وبالغ جبروته وسطوته، والكشف عما حاق بالأمم الماضية من فنون العذاب والهلاك، لتجبّرها وعنادها واستكبارها على الحق.

ب- التنبيه إلى أن الدين السماوي الذي بعث به الأنبياء واحد، وأن رسالات الرسل والأنبياء واحدة لا تعارض فيها ولا اختلاف. كما في قوله تعالى: (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ

٢- تثبيت فؤاد الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مجال الدعوة، وحمله على الصبر على ما قد يراه من أذى قومه له، وبيان أن الله (عز وجل) ينصر رسله مهما نزل بهم العذاب وطاف حولهم البلاء. ومثال ذلك قوله تعالى: (فاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ)

عناية القرآن الكريم بالقصص:

القصة كانت – ولا تزال – مدخلا طبيعياً يدخل منه أصحاب الرسالات والدعوات والهداة والقادة إلى الناس وإلى عقولهم وقلوبهم ولعل عصرنا هذا هو خير شاهد على ما للقصة من

سلطان في الحياة. ومن أثر في تغيير أوضاعها وتلوين وجوهها السياسية والاجتماعية والاقتصادية فهي ذات تأثير فعال في قيادة الجماعات البشرية في كل وقت وحين.

والدول المتحضرة اليوم تعني عناية كبيرة بأدب القصة، ذلك لما تقوم به من رفع المستوي والفكري والثقافي، والقدرة على التعبير والمتعة النفسية إذ القصة انعكاس لحياة المجتمع الذي أنتجها

وإذا كان البشر يعنون بهذا النوع من الأدب. مع قصورهم في كشف سمات الواقع الإنساني، أفلا يعني القرآن الكريم –وهو كتاب الإنسانية الأكبر الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه – بالقصص؟ فيقص علينا حال الأمم السابقة والمجتمعات البائدة التي تتكرر أحداثها مع الزمن. ويصف عللها وأمراضها، ويعالجها بما يكفل لها الاستقرار والفلاح في الدنيا والآخرة.

وفي هذا المبحث سأحاول الإجابة علي سؤال يتردد علي الذهن هو :

لماذا عنيّ القرآن الكريم بذكر القصص ؟ فأقول :

عنيّ القرآن الكريم بذكر القصص لأغراض أهمها ما يأتي :

١- الدعوة إلى التوحيد، فلم يرسل الله رسولا قط إلا بدعوة قومه إلى توحيد الله عز وجل، ونبذ عبادة ما سواه، قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)

وكذلك الدعوة إلى أصول الديانات من البعث والإيمان بالكتب والرسل والأخلاق العامة التي لا تصلح المجتمعات بدونها

٢- بيان أن دعوة الرسل جميعاً واحدة، وأن الدين الذي جاء به الجميع واحد من عهد نوح إلى عهد محمد صلى الله عليه وسلم. وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة، والله الواحد ربّ الجميع، فلا عذر لمن يتخلف عن الإجابة ويتبع هواه، وفي ذلك يقول الله تعالى : (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ). ويقول تعالى في قصة نوح (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ

وفي شأن صالح عليه السلام يقول تعالى : (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ) وهود عليه السلام يقول الله تعالى عنه : (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ

اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ) ( ).وقال تعالى في شأن شعيب عليه السلام : (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) ( ).

٣- إثبات الوحي والدلالة على صحة رسالة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم، فإن هذا القصص إخبار بالغيب بالنسبة له صلى الله عليه وسلم لأنه أميّ لم يقرأ هذا القصص من كتب السابقين. ولم يثبت أنه تعلم أو تلقي شيئاً من ذلك من أحبار اليهود والنصارى، فورود القصص في القرآن الكريم بهذه الدقة والإحكام وبلوغ الغاية في الفصاحة والبيان دليل على أنه وحي يوحي. وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأت به من تلقاء نفسه. وقد نصّ القرآن الكريم على هذا في مقدمات بعض القصص أو في التعقيب عليها في نهايتها. قال تعالى : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) وقال تعالى في قصة مريم : (ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ)

واقرأ في هذا ما جاء تعقيباً على قصة موسى عليه السلام في سورة القصص، يقول الله تعالى : (وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ) ( ).(وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)

إن في أخبار الرسول صلي الله عليه وسلم بهذه الغيوب الماضية وهو لم يكن حاضراً ولا مشاهداً ولا مقيما بينهم. مع انتفاء تعلمه ذلك من بشر دليل على نبوته وإثبات لرسالته صلى الله عليه وسلم.

٤- التأسي بأولي العزم من الرسل فيما لا قوه في سبيل الله والدعوة إليه من الأذى والاضطهاد، وهم مع ذلك ثابتون على مبدئهم القيم ودينهم الحق، لم يعترهم وهن ولا ضعف ولم تفتر لهم همة، ولم يخالجهم شك إلى أن قضي الله أمره وأنجز لهم وعده. فنوح عليه السلام سخروا منه وقالوا له : (قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ)